# قراءة في عناوين سريعة لوطن مقتول

بقلم: محمد درويش

■ عندما تجلس القصيدة في موقعها المتقدم على الشعر يحدث أن تنهمر الافكار دفعة واحدة في نهر ـ اليقظة ـ فالمدة المكتسوبة بين الفواصل هي نفسها التقاطيع والاقسام التي يبحر بها الشاعر حتى يصل لصخرة النجاة ـ بينما يقف طائر الابداع في الطرف الآخر من البحر . وتبقى القصيدة مادة الصراع الاساسي من أجل تغيير الحجارة وهندسة القضية الجديدة . ■

... شوقي بزيع في « عناوين سريعة لوطن مقتول » (١) يعيش تلك الفترة الخضراء من الشعر الجديد حيث يبني بقلم الشاعر وشفافية المشاهد لاحداث العصر السبعيني ـ العربي ـ دورة البكاء واكتمال محور الكلمات على جبين الثورة ـ بينما تتكحل صورة المرأة بالقمر الذي يستمد نوره من أول الطريق . فالقصيدة عند شوقي خاتمة المراحل ـ عبر الحلم وعكسه على مستوى النشيد .

كيف تكتب القصائد اذا احتشدت الاشجار والاحزان في العالم الداخلي للقلب الريفي ، وكيف تسير القصيدة في ليل المرحلة الممتد من الماء الى الماء ؟.. شوقي بزيع يختصر الموت عند لمعان السكين ويكتب ...

انها القصائد تكمل الاولى ... الثانية ، مثلما تكتمل الصورة بأختها . فالثورة تستحم بالدماء ، بينما يرتفع الغناء حتى أول درجة في الجرح . والحقل يفرح بشهيد التبغ ـ وعندها تنام الفراشات ويلتقط الشاعر التعب الانساني ويدخل في صنع الحلم والخبز . انه يملك المقدرة على اجتياز الالغام المزروعة بين الفكرة وضدها .. بين الصوت والصدى .. فهو يشير باصبعه ولا يستعير من الماضي سوى حرارة الاحساس بالفاجعة والقوة الصدامية للحزن الطليعي ...

وهو يشير بشعوره نحو « صاحب العصر » و« حسن الحايك » لانه يعلم ان اللون الاخضر يشكل الجسر الحديدي للبداية التي يتعلم منها الفلاح كيف يكتب الاشعار للشمس والنظرية الحمراء . انها قصائد الشاعر يكتبها تحت ضغط الحزن واشراقة الامل ..

ماذا تكتب ؟ فالشهيد يتململ على أجنحة الشعر ، والزوارق أبحرت في العالم الشعري المليء بالدهشة والانفجار ...

وشوقي بزيع منذ دخول الارض نحو الدورة الدموية ، يستطلع حدود الشعر . فالكتابة لم تعد متشابهة للقفز المستمر في الحلقة المتوهجة على حساب الرواد . انها الضفة الاخرى للحزن الجديد « لانهم أغمدوا صدرهم في التراب ولم يبلغوا الخبز / لكنهم حين ماتوا أضاءت مصابيحهم في القبور » .

... حركة الكلمة عند الشاعر تلقائية التوجه ، تنساب كما تنزل الدمعة من العين ، أو تنهمر كموجة تلامس حزن الصخور . انها حركة الاختيار : فالشاعر يحسن اختيار مفرداته مثلما يبرع الشهيد في اختيار مجده .. وهو في ذلك يعمل من أجل كتابة جديدة . ومساحات ابداعية تتجمع لتستقل عن العالم الشعري المتكرر حتى حدود اليأس من التجديد .

... والشاعر يكتب من الوجدان اغنية لمستقبل القصيدة الحديثة .

لكن ... كيف يقبض القارىء على الحزن الخاص والدمع الفريد الذي يتمدد في قصائد الشاعر شوقي بزيع ؟؟

... انها مرحلة التعادل بين الشاعر والقارىء ، فالقراءة تعمل في الاساس ضمن مجموعة من الاطر الفنية على ربط المقابل لها في الطبيعة والانسان . وكما ان مفردات القصائد مأخوذة من التاريخ العربي الذي غمسه الشاعر في الحداثة بكل ما تحمل من صور وتعابير وقدرة خاصة على التجاوب الكلي مع كلية الاحداث ، لذلك فقد بدت المقاطع الوجدانية والوطنية في مجموعة « عناوين سريعة لوطن مقتول » ذات قدرات تحشد بين طياتها « تاريخية » و « حساسية » الانسان في العالم الذي يتكسر زجاجه وتتحطم أصنامه عندما تسجن القصيدة في شرايين القارىء ... **فهذه العلاقة الجدلية** بين الشاعر والقارىء نجحت في ربط الحالة الجمالية مع وحدة الفرح بعد الخروج من الجو المأساوي ـ الاحتفالي الذي يأخذنا شوقي بزيع اليه ثم يعيدنا في نهايته الى شاطىء القصيدة ... انه الشعر الحديث بكل غموضه وأسرار وضوحه ...

وكلامنا حول الشعر الحديث يقودنا حول الحداثة في شعر شوقي بزيع ، فالتجديد في هيكل القصيدة العام و « التنويعات الموسيقية » بين الفقرة والفقرة

التي يمارسها بعض الشعراء ممن يشتغلون حول الحداثة ولا يدخلون بابها المرتفع حتى ضفاف الوجدان .. هذا التجديد ينفصل عنه شاعرنا كما تنفصل النجوم عن السماء لتتخذ لها البعد الجمالي والمستوى الفني اللائق لذلك العذاب وتلك المعاناة التي تقتحم أسوار الذات الانسانية ، وتعود مع القصيدة لتكتب تاريخ الفلاح وحزن التبغ وتعب المسيرة .

والشاعر في سلوكه الذي يعتمد الجدية في التعامل مع الواقع الذي من خلاله ينطلق الحلم ، حيث تتكون القصيدة ، فتحمل بين فواصلها الصفحة الاولى من كتاب الوطن بكل تفاصيله ، بينما نرى الهامش والشواهد والطرقات ...

والشاعر لا يترك الاحداث حتى تعود مكررة على سطح الذاكرة .. وانما يعمل على النزيف الدموي الحار ويعيد تشكيل القضايا على هيئة وصورة الفرح الذي يكتوي بالنيران ـ فالرصاص والقلب والسطور عدة ملامح لنفس الوجه ...

يقول الناقد الشهيد طلال رحمة : « أحيانا يعطي الشعر قيمة الحياة ، وأحيانا تعطي الحياة قيمة الشعر » (٢) .

ويقول أيضا : « ما من دم يعادل دما وما من موت يعادل الموت » (٣) .

هذه الكلمات للزميل الراحل ، تعود بي الى « الذاكرة » ، وللمرحلة التي شعرت فيها ان قصائد شوقي بزيع ـ منذ « حسن الحايك » ـ هي قصائد الشعب والقرى والمأساة والنزيف الذي تلمع ذكرياته عند كل مجزرة يرتكبها العدو ضد الجنوب . وعندما تنزل الحقول لتودع شهداء المعركة والصباح الاخضر ..

فالشاعر الذي يكتب للشعر والحياة ، هو نفسه الذي يعطي ، وبتفسير آخر يأخذ من الحياة ثم يعيد صياغة « أدب الانسان » ..

... أما الدم الذي لا يعادله الدم الآخر ، فهو في الوقت ذاته : الشعر الذي لا يقلد « الشعر الآخر » ... وأما الموت الذي لا يعادله الموت الآخر : فهو الموت الذي يستعمله الشاعر حين ينتهي من كتابة قصيدته حيث يعلن انه مع التفاؤل ـ والاخضر ضد الاسود واليأس .. انه مع الناس والفقراء .. ضد السكين ومع الجرح ... انه مع الشعر ضد « فبركة الكلمات » .

قبل الدخول في قصائد شوقي بزيع لا بأس من سرد هذا الموقف للشاعر الذي قال لمجلة « الطريق » : « انني بالطبع لا أستند الى فراغ . هنالك مكونات هامة ساهمت في بلورة تجربتي الشعرية ، تتوزع روافدها بين اقتصادية وسياسية وثقافية . ان خلفي قرونا من الحزن والرفض والفجيعة ، وتحت قدمي أرض تخرج الشعر والغضب ، ولهذا فأنا محكوم بالشعر والصراخ حتى الموت . قال مناف منصور أبان حديثه عن قصائدي في الملتقى الشعري الاخير انني وريث البلاغية العربية .. وأصاب ، اذ كان يعني بذلك الاستناد الى أرض صلبة في الكتابة . فأنا أعتبر ان تجاوز التراث لا يتم بالقفز من فوقه بل من هضمه وتمثله والانطلاق منه ، اذ ذاك تكون الحداثة صحيحة ومشروعة وتجيء استجابة للظروف الصعبة التي تطرأ على التجربة فتفجر الاشكال السهلة وتقوضها » (٤) .

ويقول الشاعر أيضا : « اننا لا نحاول أن ننتزع من « الشاعر » دهشة العصافير وضجر الانهار ، ولكننا نتمنى عليه أن يدفعنا للمشاركة في تلك الدهشة لكي نرى بعينه ونشاركه عذابه «السري» » (٥) .

هذا ما يقوله ... فماذا تقول القصائد ؟

■ عندما أطلق شوقي بزيع ديوانه الاول في فضاء الثقافة ـ حيث حمله صرخاته العامة والخاصة ـ كان يعرف معادلة الشعر والتوصيل .. وما يعطي الشاعر قدرته على الحركة ضمن دوائر الشعر الحديث وتشعباته ، ذلك الاحساس الريفي تجاه الشعر والاشياء . كذلك الحزن ـ سيد القصائد لدى بزيع ـ ويكاد يكون ـ الى جانب المرأة ـ الجرس ، والهم الحاضر في كل مدرسة وأمام كل جديد في قضايا الشاعر وتطلعاته . اضف الى ذلك ان الشاعر الذي يلاحق مشاهد متنوعة ومتنقلة في عوالم نفسية واجتماعية وسياسية عدة ، هو نفسه يصرخ عند كل القواطع والفواصل والنقاط .

فمجموعة قصائده تنزل على الدرج خطوة خطوة ، لكنها تتفاعل مع بعضها البعض في وحدة متكاملة ، فيسطع بذلك الضوء الاخضر للهم الشعري العام الذي يصبغ القصائد ويعيد تشكيل قدراتها على الاستمرار في مربعات اللغة ومستطيلاتها .

والسلاح الذي يرفعه الشاعر في مواجهة الموت واندثار الاشياء في البحر والقرية ، هو ذلك العنوان السريع للوطن المقتول الذي يقف الشعر على سكين موته بينما يقف الشاعر على زهرة ولادته :

« كما تتعرى لذاكرة النهر زنبقة
النهر
كالخوف ينسلّ من حدق الميتين
وكالبحر يذهب للموعد المتأخر ،
أفتتح الآن موتي وأدخل في موسم
النار
كل الجداول صالحة للملاحة
فليتقدم حفاة المدينة نحو
المدينة
وليسرج الجائعون القرى » .

■ شوقي بزيع رأى المدن تتلاشى في ضباب الدم وسرد للقارىء واقع الخراب ، بينما أضاء القنديل من زيت القلب فكتب :

« توحدت الارض فينا
فكل قتيل سيصبح جيل
وكل بنفسجة أحرقوها ستغدو
بنفسجة المستحيل » .

... انها حديقة المرحلة يسقي أزهارها الشاعر فتغدو عند كل حكاية ، مجموعة من قناديل الدماء ، والعناوين التي ضاعت في الظلام .

لكن ... لمن تقرع « الاجراس » ، والوطن يخرج من الاسود ويدخل في الاخضر ؟ لمن تقرع الطرقات والقصائد ؟

« هذا البرج لمن لا يلدون
هذا البرج لمن يسقط في مرض الانهار
ويسقط في الاحلام
نحن الاطفال الموتى الاطفال
الرايات
نطلع من ورق التبغ وزهو
فراشات الليل
حلي منديلك يا فاتنة العربات ولا
تدعي
الارض تنام
ولتعزف اجراسك للقمر الضائع
في الليل
وللطفل الشارد في الارحام » .

... و « حسن الحايك » ـ قصيدة القصائد ـ لست أنسى ابتسامة ذاك الوجه الاخضر مثل الغصن ، لست أنسى وجه طلال رحمة وسكينة وغسان كنفاني وهاني جوهرية وابراهيم مرزوق ... انه حسن الحايك شهيد كل المسافات والينابيع الذي دخل الشاعر الى لحظة موته فكتب النزيف التاريخي الشعري في أرشيف النبطية ، وقال :

« كان يسرح شعر الحقول ، ينام
على صدرها
ويدخل في جزر الخصر كالرعشة
المشتهاة ،
وقد فاجأته الطيور التي انطقتها
الاساطير ،
حامت على جفنه العاطفي
وألقت ضفائرها في الحقول
وشوهد يهوي الى باطن الارض ،
يبحث عن شجر العمر
لكنه ملزم بالوصول » .

■ والشهيد عند شوقي بزيع لم يبق شعارا يرفع أو ملصقا تأكله الرياح ، لكنه أصبح ذلك النهر الذي يذهب الى حقول القمح والتبغ ، وصار حسن الحايك بداية للقرى والفقراء :

« كان يأتي صباحا وفي يده طرحة
العرس ،
ثم يقلم أشجار عينيه
حتى يعرش في الشمس كالانبياء
وكان يراقص شتلة تبغ
ويجذبها صوب كفيه لكنها لا تصل
فيقطر حزنا ، وتقطر سحرا
ويمتد ، تمتد ،
حتى يلامسها في السماء » .

■ وفي مسيرة الشعر ترتفع التعابير وتنخفض على حسب الرغبة في اتساع الجرح وسرعة دقات القلب التي تسجلها صفحات الورق الابيض . حتى يعود الشاعر فيقول :

« هو القمر الآن في برج موتي
وقد خرج الثلج نحو القبور
وأطعمت قلبي نفايات أحلامي
الميتة » .

■ ومع المسافة المهورة بالدموع والاشجار والقتلى وارتعاش القلب عند الصباح . ومنذ قصيدة « الرقص بين خرائب المدينة » وبينما ينكسر البحر في المدن اليابسة وتستطيل النوافذ حتى حدود الرصاص وتغتسل الارض بين الرماد وأغصانه ، يخرج شوقي بزيع ليقدم أغاني الصلبان المهجورة حتى يرجع « رأس الحسين وجسم الحسين سويا » ويقرر الشاعر ان زمن الولادة سيأتي للفصل بين الخلافة والسوط .

■ والمرأة عند الشاعر فاتحة الكلمات والقلب ، والنساء قرى صغيرة . لكنها في النزف نفسه ـ بوابة الوطن والمستقبل ـ ( لا تفتحي الباب / ان رجوعي محال / فكل الشواطىء ممتدة دون جدوى / وقد نسي العمر أقدامه في الرمال / ) .

■ ويستفيد شوقي بزيع من التراث فيدخله في معاناته ليخرج الى القصيدة بذلك الثوب المتطور والوجه الحسن . فكيف اذا كان صاحب الوجه ... نفسه صاحب العصر ؟ ( أنا صوتك الآن والورق الدائري / دخلت مسام العصور ، واعشبت في غفلة الوقت / ) .

■ ويمارس بزيع تلك العملية التقنية في فك الرموز واعادة شطب وتصحيح ، على طريقة « الطريق نحو القريب الى القلب » والذوق الفني فقط .. وتبقى قصيدة الحب ، مغارة الالهام ، وشمس الابداع لدى أغلبية الشعراء . وعند شوقي بزيع تبدو ظاهرة ومميزة

في كل حركة من حركات القصيدة على المستوى الطولي والعرضي للتجربة الشعورية المتحركة على أسس حديثة ملونة بالتراث ...

■ واغلب ما تظهر هذه المزايا في « اغنيات العاشق الاخير » . تلك الفنائية حتى دخولها الى مسام الجلد وجدران القلب . وتلك الانشودة الليلية للحرمان الذي يلف محيط القلب وخليجه حتى يصرخ الشاعر :

« كانت المرأة العاشقة
في زمان مضى لؤلؤة
وكان دمي ساجدا في تخوم البحار
وفي أسفل الجزر المطفأة » .

■ وتتحول المرأة في قصيدة « السراب » الى زهرة وحلم وغزالة « نهضت من الازهار قاتلتي / نهضت من الحلم الجميل / قتلت غزالا كان يعبر حيـــن أنكرهـــا النخيل / » .

ويستمر حلم الشاعر « وأحلم انك تأتين / وأحلم انك تبكين / وان عذارى الارض تهاجر نحو دمي » .

ويختم الشاعر قصائده « ويضرب في الارض حتى الجنون / لعل دما قادما من صراخ العشايا يمر ويشتعل العابرون » .

■ وبعد : ان « عناوين سريعة لوطن مقتول » فاتحة للكتابة في جسم القصيدة العربية الحديثة ـ جيـــل السبعينات ـ وشوقي بزيع يكتب شخصيته الشعريـة المتميزة وهو ينهج في ذلك نهج الكتابة الملتزمة بالتاريخ والدمع فيقول :

( وأنت مخاض توحد في ضفتيه
التوهج والنزف .
وانحل جرحا ومات ) .

بيروت

**هوامش :**

١ ـ عناوين سريعة لوطن مقتول ـ دار الآداب ـ ١٩٧٨ .
٢ ـ طلال رحمة ـ مجلة الحوادث البيروتية ـ ١٥ / ١١ / ١٩٧٤ .
٣ ـ طلال رحمة ـ مجلة الحوادث البيرونية ـ ٤ / ١١ / ١٩٧٥ .
٤ ـ مجلة الطريق ـ شوقي بزيـع ـ شباط ١٩٧٥ .
٥ ـ مجلة الطريق ـ شوقي بزيع ـ آب ١٩٧٥ .


دار الآداب تقدم

# الثلج يحترق

رواية بقلم

**ريجيس دوبريه**

في هذه الرواية ، يقفز مؤلف « ثورة في الثورة » الى الصف الاول من الروائيين الفرنسيين المعاصرين ، فينـــال أخيرا « جائزة فمينا » المشهـورة تقديرا لموهبته وفنه .

و « الثلج يحترق » قصة رجل وامرأة ، بوريس وايميلا ، يبحث أحدهما عن الآخر ، فيلتقي بـه ثـم يضيعه ، ثم يلتقي به ثانية ، ويحن اليه ويفقده ، عبر أوروبا وأميركـا . في النضـال والعـذاب والموت والقتل . من أجل حب البشر .

اختارت ايميلا ، ابنة جبال النمسا ، أن تقاتل من أجل العدالـــة . وتلتقي في هافانا بشاب فرنسي ، بوريس ، نجا من ثـورة أخرى ، فتسحره ، ولكنها تحب زعيما ثوريا ، هو كارلوس ، وتـذهب فتعيش معه في « لاباز » ، في الخفـاء والفرح ، الى اليوم الـذي تغتاله الشرطة البوليفية . وتفقـد ايميلا كل شيء : الرجل الذي تحبه ، والطفـل الذي تنتظره ، والمعركة التي تخوضها ، ولكنها لا تترك الدرب الذي سلكته ، فمن كوبا الى التشيلي ، ومن بوليفيا الـى انكلترة ، ومن باريس الى همبورغ ، تضطلع بقدرها حتى النهاية . قدر المرأة المناضلة .

ان « التاريخ » يسكن قصة هـؤلاء الابطال . فهو لحمهم ، وعذابهم ، وألمهم . ان سعـادة بوريس وايميلا مستحيلة ، ولكـن أناسا آخرين سيكونون يوما ، بفضلهما ، أقل شقاء .

ان هذه الروايـة أغنية حب في مأساة عصرنا . توكيد ارادة للحياة وللنضال .

**تصدر في الشهر القادم**